بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(21) سَبْقُ النَّبي العظيمِ في وَضْعِ أرقى وأجمل

آدابِ الكلام والمُحادثة والحِوار[1]

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

أكتب لحضراتكم من جاكرتا:

سبَقَ الإسلامُ ونبيُّه العظيم العالَمَ المعاصرَ في وضْع حَجر الأساس للأخلاقياتِ والآداب والقواعدِ الكَفيلة بضبطِ بَوْصَلة الحياةِ نحو الصلاح والإصلاحِ والرَّشاد والنَّجاح والفلاح، وبما يجمَع الناسَ ولا يُفرِّقهم، وبما يُشكلُ سبقًا حضاريًّا عظيمًا لحضارةِ المسلمين.

وإذا كان الغربُ يتغنَّى بوضْع قواعد البُرُوتوكول والإتيكيت في الكلام، والسلام، والطعام، والشَّراب، والجلوس والقيام... إلخ؛ فإنَّ الرسولَ العظيم (عليه الصَّلاة والسَّلام) قد سبقَ العالَمَ ببَوْنٍ شاسِع في ذلك، وبشَكْل يُرضي الرَّحمن، ويَجمعُ شملَ الإنسان..

ونُشير هنا إلى عددٍ من القواعد التي وضعَها النبيُّ العظيم عند الكلام والمحادثة، والتي تمثِّل- معَ غيرها- سبقًا حضاريًّا رشيدًا، ومنها:

- المخاطبةُ على قَدر الفَهم، وأن نقول خيرًا أو نَصمُت، فعنْ أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ)، قال: (مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيَصْمُتْ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)[2].

---

(1) راجع ذلك مفصلا: د/ أحمد علي سليمان: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، القاهرة، دار إشراقة، 1446هـ / 2024م، ص 193-196

(2) أخرجه الإمام البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

- انتقاءُ الكلمات الطَّيبة، يقول (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (...اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ، فإنْ لَمْ تَجِدُوا، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ...)[3].
- أن نُقللَ من الكلام، وألا نُكثرَ منه؛ لأنَّ كثرتَه ربما تكون سببًا في الوقوع في الخطأ والإثم، فلا يأمَنُ المُكثِر من الكلام من فَلتاتِ لِسانه وزَلّاته وهَفَواته.
- أن نَبدأ بالسلام قبلَ الكلام.
- أن نَحفظَ سرَّ المُتكلِّم فلا نُفْشيه.

- أن نَبتعدَ عنِ الجدال، حتى وإن كنّا مُحقّين، فعن أبي أمامَةَ الباهلي (رضي اللهُ عنه) أنَّ النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ)، قال: (أنا زعيم بَيْتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَن ترَك المِراءَ وإنْ كان مُحِقًّا، وبَيْتٍ في وسَطِ الجَنَّةِ لِمَن ترَك الكَذِبَ وإن كان مازحًا، وبَيْتٍ في أعلى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُه)[4]. والمعنى: أنا كَفيلٌ وضامِنٌ لِمَنْ تركَ هذا الفِعل –وهو الجدال– أن يكونَ له بيتٌ في الجنة؛ لأنَّ الجَدالَ يؤدِّي إلى الخصومة والشِّقاق والصراعِ والنِّزاع، وكذلك الكذب والعياذُ بالله.
- أن نتأنَّى في الكلام ولا نتسرَّعَ فيه، حتى نُفهِّم الآخرَ الكلامَ على وجْهِه الصَّحيح.
- أن نَصبرَ على الناس، وبالتَّعبير الدّارج "نِطوّل بالنا عليهم"، ولا نتكبَّر عليهم ولا نَتجبَّر؛ بل نَتواضَعُ معهم.
- أن نُخفضَ أصواتَنا عند الكلام مع الناس، بحيث تكون مَسْموعة، ومحقِّقةً للغَرض، ولا نَرفع أصواتَنا على غيرنا؛ لأنَّ ذلك يعدُّ سوءًا في الأدب، وخَللًا في التربية، قال تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان:17–19)، فتواضَعْ في مَشْيك، ولا تَسْتكبر، ولا تَسْتعجل، ولكنِ اتَّئِدْ، واخْفِض من صوتِك فاجْعَله قَصدًا، أي: يُحقق المرادَ منه من دونِ إلحاقِ أذيَّة بالآخرين.
- أن نُعيدَ الكلامَ المهمَّ على مَسامع المتلقي إذا تطلَّبَ الأمرُ ذلك، كذلك ما يَصعُب فهمُه على المستَمِعين من أوَّل وَهْلة، وذلك لغَرض التأكيدِ والتَّفهيم والبَيان والإيضاح، وإزالة اللَّبس والإبهام والغموض.

---

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(4) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط.

- أن نُنصِتَ للمُتكلِّم، ونَبتعدَ عنْ مُقاطعته[5]؛ وقد كان الصحابةُ الكرام مَضربَ المثلَ في تأدُّبِهم مع سيدِنا رسول الله (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ)، وإنْصاتهم لكَلامِه، وتَطبيقِهم لتَعليماتِه العظيمة التي جاء بها لإصلاحِ الكوْن والحياةِ والإنسان...

هذه هي أهمُّ القواعدِ والواجبات، والآدابِ التي يجبُ تَمثُّلها عند الكلامِ والمحادثة.

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا:

- أمّا عنِ المحظورات والمنْهيّات التي نَهى عنها النبيُّ المعصوم (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) وحذَّر منها عندَ الكلام والمحادثة، فمِن أهمِّها:

– التَّحذيرُ من التَّشدُّق في الكلام، ومِن الكذب، ومِن الغِيبة والنَّميمة، ومن التَّحدثِ بكلِّ ما نَسمع، والتَّحذيرُ من الفُحش والتَّفحش. والفُحش هو السبُّ والشَّتم، والتعدّي في القول والفعل، فعن عبد الله بنِ مسعود (رضي الله عنه) أنَّ النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ)، قال: (ليسَ المؤمنُ بالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفاحشِ ولا البذيءِ)[6].

– التَّحذيرُ من التَّلهّي والتَّسلي والتَّسامُرِ بإضْحاك الناس كذبًا...!، فممّا يؤسَفُ له أنَّ بعضَ الناس يَلجؤون إلى إطلاقِ النِّكات الخارجة، أو تلك التي تَحمل إيحاءاتٍ غيرِ أخلاقية، أو يَلجؤون إلى اختلاقِ كلامٍ تافِه؛ لإضْحاكِ الناس، ومن ثَمَّ يَقعون في إثمٍ عَظيم، وربما لا يَدْرون.

– النَّهيُ عن مُقاطعة الحديث، وألّا يَتناجَى اثنان دون الثالث؛ لأنَّها من المحْظورات والمنْهيّات التي نَهى عنها النبيُّ المعصوم حِفاظًا على سلامة الصُّدور، فعنْ عبد الله بنِ مسعود (رضي الله عنه) أنَّ النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ)، قال: (إذا كُنْتُمْ ثَلاثَةً، فلا يَتَناجَى اثْنانِ دُونَ صاحِبِهما، فإنَّ ذلكَ يُحْزِنُهُ)[7] فقد يَظنُّ أنه دونَ مُستوى الكلام، أو أنهما يَتآمران عليه، أو أنَّهما يُدبِّران شيئًا ما ضِدَّه[8].

ولقد كان النبيُّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) مَضربَ المثَل في: الرحمة، والرِّفق، واللِّين، وانتقاءِ الكَلمات الطيبة، والبُعدِ عن التَّأنيب... يقول سيدُنا أنس بنُ مالك (رضي الله عنه): خدمتُ رسولَ اللهِ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) عشْرَ سنينَ، فما قال لي أُفٍّ قطُّ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه: لِمَ صنعتَه، ولا لشيءٍ تركتُه: لِمَ تركتَه، وكان رسولُ اللهِ أحسنَ الناسِ خُلُقًا)[9].

---

(5) راجع: *أمينة أحمد زاده: وقولوا للناس حسنا*، موقع طريق الإسلام على شبكة المعلومات الدولية.

(6) *أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير– صحيح.*

(7) *أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.*

(8) راجع: *أمينة أحمد زاده: وقولوا للناس حسنًا* (مرجع سابق).

(9) *مختصر الشمائل– صحيح.*

والكلمةُ الطيبة– أخي القارئ الكريم– تُسعِد الإنسان، وتَبعثُ السَّكينة والطمأنينة في النُّفوس والوجْدان، وتؤلفُ بين القلوب، وتَربطُ بين أفراد الأسْرة، وزملاءِ العمل، ومُكوِّنات المجتمع؛ برباطٍ مَتين من الحبِّ والودِّ والرحمةِ والاحترام.

وما أجملَ أن تُعانق بَشاشةُ قلوبنا بَشاشةَ وجوهِنا، وبشاشةَ أقوالِنا الطيبة لكلِّ مَن نَلقاه، ونَلهجُ لهم بالدعاء، كأنْ نقول لهم دومًا: بارَكَ اللهُ فيكم، وجزاكم اللهُ خيرًا، وسلَّمَكم الله.. ويا لها من بركةٍ عظيمة إذا انْتشرتْ مثلُ هذه الكلمات وسادَتْ في جَنبات المجتمع على الدَّوام.

وتَبقى هذه الأخلاقياتُ العظيمة دلالةً على سَبق الإسلام، وعلى عظمةِ رسوله الذي أسَّس لكلِّ خير... وتَبقى شاهدًا على أهميةِ دستور الأخلاق النَّبوية، وعلى أهميةِ التوضُّئ بهذه الأخلاقيات القادرة –حالَ اتِّباعها– على ضَبطِ بَوْصلة الحياةِ نحو رَشادِها وإصلاحِها وصَلاحِها ونجاحها وفلاحِها..

اللهمَّ وَضِّئنا بأخلاق نبيِّكَ العظيم، ومتِّعْنا بزيارته ورؤيتِه ونَيْل شفاعته، وابذرْ بذورَ الخير والحبِّ والإيمان والحنانِ في قلوبنا يا أكرمَ الأكرمين.

وصلَّى اللهُ على البَشير النَّذير، السِّراجِ المنير، رَحمةِ الله للعالمين، وعلى آله وصَحبِه وسلَّم.

***

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ وَصَالِحَ الأَعْمَالِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ... اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَهْلِيكُمْ وَأَنْجَالِكُمْ وَأَحْفَادِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ أَجْمَعِينَ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالحُبُورَ، وَالسَّعَادَةَ العَامَّةَ التَّامَّةَ الكَامِلَةَ الشَّامِلَةَ الدَّائِمَةَ المُسْتَقِرَّةَ المُسْتَمِرَّةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ... نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا، وَلِمُجْتَمَعِنَا وَلِشَعْبِنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ مِصْرَ شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا، شِمَالَهَا وَجَنوبَهَا، طُولَهَا وَعَرْضَهَا وَعُمْقَهَا، بِحارَهَا وَسَمَاءَهَا وَنِيلَهَا، وَوَفِّقْ يا رَبَّنَا قِيادَتَهَا وَجَيْشَهَا وَأَمْنَهَا وَأَزْهَرَهَا الشَّرِيفَ، وَعُلَمَاءَهَا، وَاحْفَظْ شَعْبَهَا، وَبِلادَ المُحِبِّينَ يا رَبَّ العالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ على سَيِّدِنا وَمَوْلانا مُحَمَّدٍ، وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

خادم الجناب النبوي

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي

سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

واتس آب: 01122225115 بريد إلكتروني:

drsoliman55555@gmail.com

متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها: (الدكتور أحمد علي سليمان)؛ يضمن لك كل جديد https: //www.facebook.com/drahmedalisoliman/